وصية الحكيم

للشيخ

أيمن الظواهري

حفظه الله



بسم الله الرحمن الرحيم

- *هي رسالة وجهها الدكتور أيمن الظواهري –حفظه الله– إلى بعض الذاهبين الى غزة، وقد نُشرت من طرف أحد هؤلاء الذاهبين تحت هذا العنوان.*

هذه بعض الوصايا المختصرة للإخوة المجاهدين الذين منَّ الله عليهم بالنفير إلى ساحة الجهاد، وأنقذهم ربهم مما كانوا فيه من الضيق والشدة فهداهم سبيل الرشاد، وحررهم من ربقة تسلط الطغاة، ويسَّر لهم عبادته وهم في سعةٍ من أمرهم، فعاينوا ما وعد الله به المهاجرين حيث قال سبحانه: {وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً}[النساء/١٠٠]، وقال عز وجل: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ}[العنكبوت/٥٦] نسأل الله أن ينفع بها.

شيوخنا الكرام –وأنت أعلم مني بذلك– أن خطاب المحقق المدقق ليس هو خطاب المربي الذي يأخذ الناس خطوة خطوة، وليس هو خطاب الداعية الجماهيري الذي يخطب على منبر الجمعة، أو يلقي الدروس في المساجد الجامعة، أو يكتب مقالًا في صحيفة سيارة.

فأرى –والله أعلم– أن تجعل لنفسك إذا وفقت في الوصول لمقصدك بعناية الله وحفظه، ثلاث درجات من الخطاب، خطاب للخاصة يتناول تحقيق مسائل العقيدة والشريعة، وتمحيص الأقوال وإرجاعها للأصول، وخطاب تربوي تعلم به أبناء الحركة الإسلامية أصول العقيدة والشريعة، وخطاب جماهيري تحرض به جماهير الأمة على نصرة الإسلام وترك المعاصي والشركيات وأداء الطاعات.

وقد تكونت –بفضل الله– هناك نبتة جهادية سلفية أرى أن تكون محط اهتمامك الأول، فتكون لهم أبًا معلمًا جامعًا موجهًا، وتخصهم بما لا تخص به غيرهم، فهم رجالك وجنودك وساعدك الأيمن، وأقرب الناس لكم، وأهم ما أرى أن توجههم له أمران: الوحدة، وقد قطعوا شوطًا طيبًا في ذلك، ثم العمل على العدو الإسرائيلي، ومشكلتهم في ذلك ضعف الإمكانات من ناحية، ثم تحرش حكومة حماس المستمر بهم من ناحية أخرى.

ثم أرى أن يتلوهم في اهتمامك وتوعيتك وتربيتك شباب الحركات الإسلامية من حماس والجهاد، وهؤلاء لهم فضل وفيهم عيب، فأما فضلهم –الذي لا بد أن نشهد به لهم– أنهم العمود الفقري لمقاومة ومدافعة الصهاينة، أما عيبهم فهو تعصبهم لقادتهم وتحرشهم وإيذائهم للمجاهدين السلفيين، أضف لذلك أنه مع تمكنهم من الحكم دخلت فيهم طوائف من المنتفعين وطلاب المناصب والمكاسب، ثم فوق ذلك الخلط العجيب الذي يتميز به الإخوان

في العقائد والتزام الشريعة فهم يجمعون بين المتناقضات في خلط عجيب فهم يتكلمون عن الحاكمية والأستاذ سيد قطب -رحمه الله- ، ثم يخوضون الانتخابات ببرامج وممارسات لا يذكر فيها اسم الإسلام، ولا حكمه، ويتكلمون عن الجهاد وتحرير كل شبر من فلسطين ثم يرفعون شعار الوحدة الوطنية مع العلمانيين باعة فلسطين، ثم يرون أنفسهم قضية المسلمين المركزية، ولا يتحرجون من أن يتبرءوا من غيرهم من المجاهدين.

وأرى أن تكون سياستك معهم هي سياسة الوضوح في البيان مع اللين في الأسلوب، وأن تدفع شبهاتهم شبهة شبهة، وأرى ألا تكثر من الاعتذار لهم إلا في حديثك مع خاصتك، لأن القوم قد أسرفوا في الانحراف، ولا يحتاجون لمزيد أعذار، بل لمزيد نصح، ولو انتشر عنك الاعتذار لهم، فقد تنشأ عنه مفسدتان:

الأولى: أن يستغلوا هذا الاعتذار في الرد على أهل العقيدة الصحيحة،

والثانية: أن يزيدهم غلوًا في الانحراف، بزعم أن أحد كبار علماء المجاهدين يبرر لهم ما يفعلون.

وعليك بأهل الخير فيهم فهم كثر بفضل الله، فركز عليهم وعلى أهل الجهاد والبذل فيهم. وتذكرهم أنهم وإخوانهم المجاهدين على سبيل واحد، وأن إخوانكم المجاهدين يرعون حرمتكم فلماذا لا ترعون حرمتهم؟ ولماذا تحرصون على الوحدة مع الخونة العملاء الذين تلعنونهم، ولا تحرصون على الوحدة مع إخوانكم الذين يدعون لكم؟ ولماذا لا تعظمون حرمات المسلمين ودماءهم؟ وما جوابكم أمام ربكم؟ وأنكم في ميادين الجهاد ومواطن الشهادة، فبماذا تعتذرون عن إيذاء إخوانكم الذين يحبونكم لإسلامكم وجهادكم؟ أو لا تعلمون أن هذه المعاصي تؤخر النصر؟ إلى غير ذلك من المعاني الطيبة المثيرة لمشاعر التقوى والخوف من الله، والتي أرجو أن يوفقك الله لها.

أما ساستهم وقادتهم، فأرى أن تداريهم ما كان إلى المداراة سبيل. وأغلبهم لا يجدي فيهم النصح إلا من رحم الله، مع خير فيهم لا ينكر، ومن أمثال ذلك تعزية الأستاذ إسماعيل هنية في الشيخ أسامة رحمه الله، وقد شاهدت تعزيته، وواضح أنه يتعمدها ويقصدها، ولم تأت في حديثه عفوًا، ومنها قول خالد مشعل -لما سأله الصحفيون عن هجومي عليهم بسبب اتفاق مكة- ما معناه: إن من حقه أن ينتقد، وأنا لا أتكلم على رجل تطارده الإدارة الأمريكية، ثم قرأت له تصريحًا تاليًا يقول فيه: أقول للدكتور أيمن. ارفق بإخوانك في حماس.

هذا عن الخير الذي فيهم، أما عن غيره فحدث ولا حرج.

ولما جاء الشيخ أبو رسمي -رحمه الله- نقل عن عامتهم صورة طيبة، وقال إن أغلبهم نادم على أحداث مسجد ابن تيمية، وأقلهم متعصب مصوب للجريمة، وأنه التقى بإسماعيل هنية نفسه، فأبدى له تبرأه مما حدث، بغض النظر عن صدقه أو عدمه، وقال إنهم عمومًا قدروا موقف القاعدة بعدم الهجوم عليهم بسبب هذه الجريمة. وقال إنه مستعد لتوصيل ما نشاء من رسائل لهم، وكتبت مسودة رسالة، وأرسلتها للشيخ عطية، ثم اختار الله للشيخ أبي رسمي ما هو خير من ذلك، فنسأل الله أن يتقبل منه استشهاده، ويلحقنا به على خير.

وقد كنا ولا زلنا حريصين على التواصل معهم، حتى وإن اختلفنا، فاستمرار التناصح بيننا خير من الانقطاع، فإن استطعتم أن تفتحوا هذا الطريق، فلعل أن يكون فيه خيرًا كبيرًا بعون الله.

ثم تليهم جماهير المسلمين الطيبة التي ترجو أن تنصر الإسلام وتطلب الكرامة والعزة والعدل والعيش الكريم والاستقلال ولا تفرق بين جماعة إسلامية وأخرى بل وربما بين الإسلاميين وغيرهم.

وهذا هو الواقع الذي عليك أن تتحرك فيه بالحكمة والقوة والبيان والتدرج، ثم قبل كل هذا وبعده توفيق الله سبحانه وتعالى، الذي عليك أن تبتهل إليه أن يجمع عليك القلوب والعقول. وأنت تسعى -إن شاء الله- على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، متبعًا سنته ومقتديًا بسيرته، ومتذكرًا قول الحق سبحانه تعالى لنبيه الكريم صلى الله عليه وسلم: {وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ {٦٢} وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}.

ثم أمر آخر أود أن أشير إليه، وإن حسبت أن البعض لا يوافقني فيه تماما ، وهو أهمية إنشاء التنظيم الذي يحمل الدعوة من الأفق النظري للميدان العملي، وقد أثبتت الأحداث الأخيرة وما قبلها أن التيارات المنظمة استطاعت أن تجني المكاسب، لأن الفرص للمستعد لاغتنامها. وقد أثبتت أحداث مصر وتونس ثم ليبيا إلى حد ما ذلك، فلأن السلفيين والإخوان في مصر والنهضويين في تونس كانوا منظمين حققوا المكاسب فورًا وملأوا الفراغ الحاصل بعد سقوط الحكم الجائر.

وأنا أعلم أن مشاكل التنظيم كثيرة وكبيرة ومرهقة، ولكن هذه هي سنة التاريخ والاجتماع.

ولا بد للتنظيم من دعوة بين الناس ولا بد للدعوة من عقيدة ومنهج ولا بد للعقيدة من علماء ومفكرين ومنظرين، هذه هي السنة مع الكافر والمسلم ، ومع المصيب والمخطئ، والله أعلم.

وسامحوني إذا كنت قد أطلت عليكم، ولكني أستأنس بالكتابة لكم. وقد كان لجدي لأمي –رحمه الله– أبيات يقول فيها:

كلمـــــات بقـــــين لي مـــــن صـــــديق   مـــــن دمـــــوع تجمعـــــت وشـــــجون
لهـــف نفســـي يبقـــى الحنـــين علـــى الطـــر   س وتفـــنى الصـــدور ذات الحنـــين